

مجلة محكمة متخصصة في الكتاب وقضاياها
تصدر عن دار ثقيف للنشر والتأليف
أسست عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

الربيعان - الجماديان ١٤٢٣هـ
مايو - يونيو/ يوليو - أغسطس ٢٠٠٢م

العددان الخامس والسادس
[عدد مزدوج]

المجلد الثالث والعشرون

من محتويات العدد

- ❖ مفهوم الاشتقاق الصرفي وتطوره في كتب النحويين
- ❖ تطوير الموارد البشرية في قطاع المعلومات
- ❖ في نظرية الرواية وتقنيات السرد وآلياته
- ❖ كتاب معاني الحروف المنسوب إلى الرماني
- ❖ الرسول ﷺ في المدينة لعلي حسني الخربوطلي



00183607

15 20 23 07

الرسول ﷺ في المدينة

لعلي حسني الخربوطلي

محمد بن فارس الجميل

كلية الآداب - جامعة الملك سعود

الخربوطلي ، علي حسني / الرسول ﷺ في المدينة - ١٠ - ١٠ - القاهرة : مطابع دار الأهرام التجارية ، د . ت - ٢٧٩ ص .

كتاب الرسول ﷺ في المدينة يمكن إدراجه ضمن مجموعة الكتب والدراسات التي تعالج سيرة الرسول ﷺ في الطور المدني . والكتاب على الرغم من فائدته إلا أنه لم يسلم من بعض أوجه النقص التي يمكن إيجاز البعض منها على النحو التالي :
- في حديث المؤلف عن غزو الخندق أو الأحزاب قال : استمر اليهود في عداوتهم للرسول ﷺ والمسلمين على غير هدى ، ورأوا أن يضعوا أيديهم - وهم أصحاب دين سماوي - في أيدي الوثنيين المشركين من أهالي مكة . فقد خرج من المدينة نفر من زعماء اليهود ، فيهم سلام بن أبي الحقيق النضري ، وحيي بن أخطب النضري ، وهوذة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ، وهم من زعماء يهود بني النضير وبني وائل ، خرجوا إلى مكة للقاء المشركين ، وتحزيب الأحزاب ضد الرسول ﷺ والمسلمين .

عاد فيه من الخندق وقال له : إن الله يأمرك بالمشير إلى بني قريظة . فخرج منادي الرسول ﷺ في الحال ينادي في أرجاء المدينة . أن رسول الله ﷺ يأمركم ألا تصلوا العصر إلا في بني قريظة . فحاصروهم رسول الله ﷺ وحلت بهم الهزيمة وجاء فيهم قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ ﴾ ثم أن الرسول ﷺ لم يعمل على إجلائهم من المدينة بل قتل المقاتلة من رجالهم واستحيا نساءهم وأولادهم حيث باعهم في أسواق النخاسة . وذلك جزاء خيانتهم وغدرهم بالمسلمين .
- وفي ص ١٣٦ تحدث المؤلف عن "غزوة بني قرد" ، والدارس في مصادر السيرة النبوية لا يعرف شيئاً من الغزوات بهذا الاسم بل المشهور : غزوة الغابة أو غزوة ذي قرد ، ويقال قُرد بضم تين .

- وفي ص ١٤٨ - ١٤٩ في حديث المؤلف عن عُمره القضاء قال واصفاً المسلمين عند دخولهم مكة : "واخترقوا أبواب مكة في ملابس الإحرام وألسنتم تلهج بشكر الله وحمده . واعتنق بعض أهل مكة الإسلام" .
لم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر السيرة النبوية ما يفيد أن بعض أهل مكة اعتنق الإسلام في تلك

والمعروف أن أولئك الرهط خرجوا من خيبر وليس المدينة .
- في ص ١٢٧ قال المؤلف : وتعجبت قريش نفسها من إبداء هؤلاء اليهود ، ولهم كتاب ودين سماوي ، العداة للإسلام وهو دين إلهي أيضاً .
وفي الحقيقة لو كانت قريش مُقرّة أن الإسلام دين إلهي لما حاربتة .

- في حديث المؤلف عن الخندق (ص ١٢٩) قال : تحمل المؤمنون متاعب كثيرة ، فقد هبت عليهم رياح باردة... فقد أوشكت أجسامهم أن تتجمد برداً ، وقطع الأعداء طريق المؤنة عنهم . ولم يوضح المؤلف من المقصود بالأعداء وما الطريق الذي قطعوه عنهم .

- وفي ص ١٣٤ بعد حديث المؤلف عن انسحاب الأحزاب قال : "ورأى الرسول ﷺ وقد حقق الله له الانتصار ، أن يعاقب يهود بني قريظة على موقفهم العدائي ، وعلى غدرهم وخيانتهم ، ونقضهم العهد للرسول ﷺ والمسلمين ، فعمل على إجلائهم تماماً عن المدينة" .

وهذا قول يفتقر إلى الدقة . فإن عقوبة بني قريظة لم تكن بمبادرة شخصية من الرسول ﷺ بل بأمر إلهي عندما جاء جبريل عليه السلام إلى الرسول ﷺ في اليوم الذي

المناسبة، وقد أشار المؤلف إلى مصدره (ابن هشام: ١٢/٤) ولم أعثر في هذا الموضع على شيء يفيد بإسلام بعض أهل مكة .

- وفي ص ص ١٦٣ - ١٦٤ عندما تناول المؤلف موقعة حنين ذكر الجدل الذي حدث بين دُرَيْد بن الصِّمَّة ومالك بن عوف النضري سيد هوازن فقال : "وطلب مالك من هوازن أن ينحازوا إليه أو إلى دُرَيْد فأتوا الوقوف في صف مالك فقد كان شاباً فتياً في الثلاثين من عمره ... ثم أحال المؤلف القارئ إلى ابن هشام : ٨٠/٤ - ٨٢ . والذي ذكره ابن هشام بهذا الخصوص أن مالكا قال لقومه : "والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . وكره أن يكون لدُرَيْد بن الصمة فيها ذكر أو رأي ، فقالوا : أطعنك" .

وكما هو واضح من النص السابق فإنه لم يكن هناك مفاضلة بين زعامتين : زعامة مالك أو دُرَيْد لاسيما وأن دريداً كما قال عنه ابن إسحاق : "دُرَيْد بن الصِّمَّة شيخ كبير، ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرباً" . ابن هشام : ٨٠/٤ .

- وجاء في خبر إجلاء بني قينقاع عن المدينة ص ١٩٢، قول المؤلف : أن بعض شباب يهود بهرم جمال فتاة عربية في سوق قينقاع فطلبوا منها أن تكشف الخمار عن وجهها" ثم غافلها أحد الصياغ وربط الخمار بالمقعد الذي كانت الفتاة تجلس عليه بحيث إذا هبت واقفة انكشف وجهها وقد تم له ما أراد" .

السؤال هنا كيف يبهر اليهود جمال تلك الفتاة العربية وهي مخمرة وجهها ؟ ثم إن هذا الوصف المضحك للتحايل على كشف وجه تلك الفتاة أو السيدة العربية لم أجده إلا لدى واشنطن إرفنج في كتابه حياة محمد ﷺ، الذي قام الخربوطلي بترجمته إلى العربية . (انظر ص ١٦٢ من الترجمة).

أما ما جاء عند ابن هشام عن هذا الأمر فهو قوله : "كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها ، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست

إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها ، فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها" ٥١/٣ .

وفي ص ١٩٣، يذكر الخربوطلي أنه " لم يكن لبني قينقاع حصون ولا معقل، وإنما كانوا تجاراً وصياغاً . ولا أدري كيف وصل إلى هذا الاستنتاج ؟ ألا يحتاج التجار والصاغة إلى القلاع والحصون ؟

المعروف أنه لم يكن لهم زروع ونخل مثل اليهود الآخرين، بنو قريظة والنضير فقد قال عنهم الطبري : "وَعَنَّم الله عز وجل رسوله ﷺ والمسلمين ما كان لهم من مال ولم يكن لهم أرضون ، إنما كانوا صاغة ... الطبري ٤٨١/٢ .

- وفي ص ١٩٤ ، ذكر المؤلف أنه بعد موقعة أحد وما أصاب المسلمين فيها قدم على الرسول ﷺ "فد من مدينتي (عضل) و (القارة) يعلنون إسلامهم ...".

والمعروف جيداً أن عضل والقارة قبيلتان وليستا مدينتين. ومن الطريف أن المؤلف في حديثه عن يوم الرجيع ذكر عضل والقارة وقال في حاشية ص ١٢١ إنهما قبيلتان وهم من بني الهون بن حزيمة [خزيمة] بن مدركة . ويظهر أن الخطأ الذي وقع فيه المؤلف يعود إلى اعتماده أحياناً على معلومات واشنطن إرفنج فهو الذي ذكر في كتابه أن عضلاً والقارة بلدتان ، فقد قال : The inhabitants of two towns, Adhal and Kara sent a deputation to him ... : " P . 110" .

- وفي ص ١٩٤ نفسها أشار إلى حادثة بئر معونة وخيانة بعض أعراب نجد وقال : "وتكررت هذه الخيانة فقد قدم بعض أهل نجد على الرسول ﷺ وتظاهروا برغبتهم في الإسلام ، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يمدحهم ببعض المسلمين ليحموهم من أعدائهم فبعث الرسول ﷺ بجماعة من المسلمين يبلغ عددهم أربعين مسلماً من الأنصار .." .

وهذه الرواية خلاف ما جاء في السيرة، فالذي ذكره ابن إسحاق مخالف لذلك تماماً فقد قال : "قدم أبو براء عامر بن مالك على رسول الله ﷺ فعرض عليه رسول الله

ﷺ الإسلام ، ودعاه إليه ، فلم يُسلم ولم يُبعد عن الإسلام ، وقال : يا محمد ، لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد ، فدعوه إلى أمرك ، رجوت أن يستجيبوا لله ، فقال رسول الله ﷺ : إني أخشى عليهم من أهل نجد" ثم بعث معه أربعين رجلاً . انظر : ابن هشام ، السيرة ١٩٣/٣ - ١٩٩ .

ومن هذا النص يتبين لنا أن الرجال الذين ذهبوا مع أبي براء لم يذهبوا معه لحمايته من أعدائه بل ذهبوا دُعاة إلى الله !

وقد جاء الخربوطلي بهذا التفسير من واشنطنون إرفنج ، فقد تحدث عن قدوم بعض أهل نجد إلى النبي ﷺ وكانوا يتظاهرون بالإسلام ، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يرسل معهم من أصحابه ليحموهم من أعدائهم ، وأرسل الرسول ﷺ جماعة وغدر بهم أهل نجد وقتلوهما ما عدا واحداً . انظر : واشنطنون إرفنج في كتابه : MA - HOMET . P . 110 وقارن : ترجمة الخربوطلي ، حياة محمد ، ص ص ١٧٣ - ١٧٤ .

- وذكر الخربوطلي في ص ١٩٤ أن "عمرو بن أمية الذي استطاع الفرار وهرع إلى المدينة .. التقى برجلين يهوديين من بني عامر ، غير مسلمين فظن أنهما ينتميان إلى أعدائه ، وأراد أن يأخذ بثأر إخوانه المسلمين القتلى ، فقتل هذين اليهوديين" .

المعروف أن العامريين اللذين قتلتهما عمرو بن أمية لم يكونا يهوديين بل إن قبيلتهما بني عامر كانت مرتبطة بحلف مع يهود بني النضير . وقد قال الرسول ﷺ لعمرو ابن أمية عندما جاءه بسلب القتيلين العامريين : "بئس ما صنعت ! قتلت رجلين قد كان لهما مني أمان وجوار ! لأدينهما . وأخرج ديتهما دية حرين مسلمين .. انظر :

المقريزي ، إمتاع الأسماع ١٢ / ١٧٤ .

ومرة أخرى فإنه يبدو واضحاً أن الخربوطلي في نعته لقتلى بني عامر باليهود قد اعتمد في ذلك على واشنطنون إرفنج فهو الذي ذكر أنهما يهود . انظر كتاب إرفنج MAHOMET . P . 110 وكذلك الترجمة العربية ، حياة محمد : ص ١٧٤ .

- وفي ص ١٩٥ ، قال الخربوطلي : "رأى الرسول ﷺ أن يعرف نوايا بني النضير ، فرأى أن يقوموا بدفع الدية لبني عامر ، وكلهم من اليهود .." .

والصحيح أن بني عامر لم يكونوا يهوداً بل عرباً وثنيين . - وأخيراً في ص ٢٠٠ ، ناقش الخربوطلي خيانة بني قريظة واستنزال الرسول ﷺ لهم من حصونهم وأخذهم إلى المدينة ، ثم تنفيذ الإعدام برجالهم وذكر أنه في ذلك الموقف وجه الرسول ﷺ حديثه لابن أخطب زعيم بني النضير قائلاً : "أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يُخذل" .

والمعلوم لدى كل دارس للسيرة أن هذا القول لحبي ابن أخطب موجهاً للرسول ﷺ . انظر ابن هشام ٢٥٢/٣ . وفي الصفحة نفسها ذكر الخربوطلي أن رسول الله ﷺ في ذلك الموقف "أي في تلك اللحظات التي يُقتل فيها بنو قريظة ، وجه حديثه إلى سائر الناس فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل" .

والمعروف أيضاً أن هذا قول حبي بن أخطب حين قُدم للقتل وليس بقول الرسول ﷺ . انظر ابن هشام ، ٢٥٢/٣ . هذا ما أسعف به الوقت من ملاحظات على كتاب الرسول ﷺ في المدينة لمؤلفه علي الخربوطلي . والله أعلم بالصواب .

المصادر

وقارن :
- Washington Irving . Saccessors Mahomet and His...,
(Wisconsin : ١٩٧٠م) .

- السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ٣ ، ٤ .
- الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ج ٢ .
- تاريخ الرسل والملوك ، للطبري ، ج ٢ .
- إمتاع الأسماع ، للمقريزي ، ج ١ .